استئناف المسيرة الحضارية
المؤهلون للمهمّة

ظاهرة التخلّف في عالمنا الإسلامي تقضّ مضجع كلّ الذين يحملون هموم هذه الأمة ويفكرون في غدٍ أفضل لها.

كثرت المساهمات المؤسسية والفردية التي تسعى لتقديم مشاريعها ونظرياتها في هذا المجال.. وكل واحدة منها يمكن أن تشكل إثراءاً للمشروع العام الذي يجب أن يتبلور لانتهاجه في المجالات الحياتية.

غير أنّ بعض الطروحات التي تظهر بين حين وآخر تستدعينا أن نقف ـ ولو قليلاً ـ عند الشروط التي يجب أن تتوفّر للمشاركين في هذا الهدف الكبير.

الأول: أن يكون المشارك مؤمنًا حقًا بأن الإسلام دين إلهي يستمد تعاليمه من الوحي، ويتجه نحو ايجاد انسجام بين حياة الإنسان وسائر ظواهر الكون الأخرى. والخروج عنه إنما هو خروج عن الفطرة وعن سنن الكون.

الثاني: الإيمان بأن المقصد الأساس لهذا الدين هو «الإحياء» ويَعني تفعيل كلّ الطاقات المعنوية والمادية للإنسان كي يتجه الفرد والمجتمع نحو تكامله المرسوم.

الثالث: أن يفهم ويؤمن أنّ الإسلام استطاع أن يحقّق أعظم نهضة حضارية، حين صيّر من قبائل الجزيرة العربية أمّة رفعت لواء التحرير والعلم والمعرفة إلى العالم، واستطاع المسلمون بتعارف شعوبهم أن يبنوا صرح حضارة فريدة في التاريخ.

الرابع: أن يؤمن بأنّ الحضارة التي أقامها الإسلام في تاريخه قد أفلت بسبب عوامل

ضعف عارضة لا تمتّ إلى الدين بصلة.

الخامس: أن يرى إمكان استئناف مسيرة الحضارة الإسلاميّة على مستوى متطلبات العصر، إن تمّ تفعيل عناصر الإنتاج الحضاري في الثقافة الإسلامية، وأزيلت عوامل الضعف والصدّ من أمام هذه المسيرة.

السادس: أن يفهم بأن الحضارة الإسلامية تتميّز عن الحضارات القائمة بأنها تتوجّه إلى الجانبين الروحي والمادي من الإنسان، وبذلك تستطيع أن تقدّم للبشرية نموذجًا حضاريًا جديدًا ينقذها من ويلات النظرة المادية الأحادية للإنسان.

هذه الأسس تستطيع أن توجّه العاملين في الحقل الحضاري الإسلامي نحو المقصد المطلوب، وتضفي عليهم الجدّ والإخلاص والعشق لمبدأهم، وتبعدهم عن «الاحتراف» في التأليف وتدبيج المقالات، وإقامة المؤسسات والندوات، كما تقيهم من الهزيمة والالتقاط.

الجماعة المؤهلة للنهوض بأعباء الاستئناف الحضاري تواجه أسئلة لا بدّ من الإجابة عليها:

١ – ماهي العناصر الثقافية التي تبعث على الإنتاج الحضاري؟

٢- كيف استطاع الإسلام أن يفعّل هذه العناصر في عصوره الأولى؟

٣- ماهي العوامل التي أضعفت فاعلية تلك العناصر؟

٤- كيف يمكن أن تفعّل تلك العناصر في عصرنا الراهن؟

لا بدّ من الإشارة إلى أنّ ثمة توجهات نحسبها من الانحراف في الدراسات الحضارية الإسلامية منها:

الأول: معالجة الموضوع وفق نظريات مفكرين غربيين قدامى مثل ماكيافيلي ومونتسكيو ومعاصرين مثل شبلنجر وتوينبي وهنتنغتن ليخرجوا بنتيجة هي عدم امكان

نهوض حضارة بعد أفولها.

الثاني: الانجراف وراء نظرية العولمة في تقسيم العالم إلى حضارة واحدة مهيمنة وغيرها تابعة لا بدّ أن تندمج بها، وبذلك لا يرون للعالم الإسلامي مصيرًا سوى التبعية الحتمية لأمريكا.

الثالث: طرح الحضارة الإسلامية وكأنها حضارة متاحف، ظهرت على ساحة التاريخ فأبدعت وابتكرت، وتحوّلت اليوم إلى واحدة من تاريخ الحضارات. والغريب أن فروع الحضارة الإسلامية في جامعات العالم الإسلامي تتجه جميعًا ـ حسب علمنا ـ إلى دراسة الحضارة الإسلامية تاريخيًا لا غير.

هذه التوجهات ناتجه غالبًا من عدم الإيمان بالأسس الستة التي ذكرناها آنفًا، أو الغفلة عنها.

نحن ننطلق ـ إذن ـ من إيمان بإمكان استئناف مسيرة الحضارة الإسلامية، لإيماننا بأن الإسلام دين الإحياء، وخلوده يعني قدرته على إحياء الفرد والمجموعة البشرية في كل زمان ومكان. ومن هنا نتجه بالدرجة الأولى إلى دراسة معالم الثقافة الإسلامية وعناصر انتاجها الحضاري، وسبل تفعيل هذه العناصر في عصرنا الراهن بكل تطوراته.

هذا لا يعني طبعًا أننا نهمل الآراء المعارضة لمتبنياتنا، بل ندخل معها في حوار موضوعي، عسى أن نساهم في بلورة مشروع أمتنا في استئناف مسيرتها الحضارية.

إن الاستئناف الحضاري بمستوى متطلبات عصرنا هو الإحياء نفسه، والإحياء هو الإسلام ذاته، لذلك فإن كل عملٍ لا يصبّ مباشرة أو بصورة غير مباشرة في هذا الاتجاه إنّما هو عبث لا طائل تحته، من هنا لا بدّ أن تتجه دراساتنا ومدارسنا وجامعاتنا وإعلامنا وتوجيهنا الثقافي نحو هذا الهدف الكبير.

ثم لا بدّ من الإشارة الى أن القوى المضادة لنهضة أمتنا تجمع على صدنا عن

الوصول إلى هذا الهدف، عـن طريـق أنـواع الحـروب العـسكرية والثقافيـة والعلميـة والإعلامية.

لأهمية هذا الهدف ندعو إلى التقاء المؤمنين العـاملين في اجتماعـات عمليـة جـادّة، وتكثيف اتصالاتهم بأولياء الأمور لتوعيتهم على هذه الأهمية، وعلى ما يواجه أمتنا من تحديات.

وفي الختام نذكر أن المسؤولين في مؤسسة الفكر الإسلامي ـ إيمانًا منهم بعظم مهمة الاستئناف الحضاري ـ قرروا أن تصدر مجلة «ثقافتنا» كل شهرين مرّة، بدل أن كانـت فصلية، نرجو بهذه الخطوة أن نزيد مساهمتنا على هذا الطريق. والله الموفق.

التحرير